العرب والانتفاضة

عبد الاله بلقزيز

كيف يتعامل معظم النظام العربي مع الانتفاضة في الارض المحتلة؟ وما حصيلة سياسته تجاهها؟

ليس في وسع المتابع لما يجرى من تطورات على ساحة الشرق الاوسط الاّ ان يسجل حقيقة دامغة ومريرة، هي انه بعد اثنين وثلاثين شهراً من الانتفاضة، يعني اثنين وثلاثين شهراً من الموت والاعتقال والتشريد والتجويع والارهاب الصهيوني، واثنين وثلاثين شهراً من المقاومة المدنية المذهلة للاحتلال، لا يزال معظم النظام العربي مستغرقاً في غيبوبة سياسية تمنعه من ان يصحو صحوة كاملة، كي يقرأ الابعاد والعناصر الاستراتيجية الجديدة التي ادخلها حدث الانتفاضة في معادلة الصراع في المنطقة؛ وهي العناصر والابعاد التي عدّلت كثيراً في بنية تلك المعادلة، وفي علاقة القوة في اطارها، واتاحت للنظام العربي، لاول مرة بعد حرب تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣، ان يحسّن موقفه التفاوضي، أو موقعه القتالي، في الصراع العربي ـ الاسرائيلي. كما انه لا يزال دون مستوى ادراك خطورة ما تحمله المتغيرات الدولية، والاقليمية، الجارية على الامن القومي العربي، وعلى وجود، واستمرار، النظام العربي ذاته، كنظام اقليمي، اذا لم يتمّ استيعاب آثارها بصورة ايجابية مقبولة، وتحييد فعل نتائجها السلبية.

هل نقول ان هذه الغيبوبة هي من باب سياسة اللامبالاة واضاعة الفرص المعهودة؟

ليت الامر كان كذلك؛ على الاقل لكان النظام العربي سيكتفي بتنظيم انسحابه من دائرة الصراع، أو، على الاقل، كان سيتوقف عند حدود تأكيد حقيقة شبه الشلل المزمن والعجز البنيوي عن تنمية دفاعاته الذاتية الحيوية لمقاومة الاخطار الخارجية. المشكلة، هنا، تكمن في ان معظم هذا النظام يذهب الى ابعد من ذلك؛ يذهب الى المشاركة في تنظيم وتهيئة مناخ يعطل فاعلية الانتفاضة، وينال من نتائجها. انه، هنا، يندرج، طوعاً، ضمن العوامل النابذة، لا الجاذبة؛ العوامل التي تلعب ضد تأمين سيرورة تصاعدية للانتفاضة.

والغريب ان معظم النظام العربي، حين يمارس هذه العملية من الفعل السلبي تجاه الانتفاضة، فهو يمارسها بموازاة سياسة اعلامية اجادت، وتجيد، «مناصرة» الانتفاضة، و«تأييد» مطالبها! ومع ذلك، فانه لا يفعل، هنا، شيئاً جديداً سوى انه يكشف، مجدداً، عن طبيعة غالبية الخطاب السياسي العربي الرسمي التي تدمن الازدواجية، ادمانها السلبية.

كيف يمكننا، اذاً، ان نفهم منطق هذه السياسة التي تتبنى، لفظاً، قضية الانتفاضة، وتتخلى، فعلاً، عنها، بدعوى ان الانتفاضة قادرة، وحدها، على ان تقرر مصيرها؟